انتفاضة القدس ورباط الأقصى واستهداف غزة:

إضاءات حضارية ودعوة للتدبر والاهتمام

برز في النصف الثاني من عام ٢٠١٤ رابط مهم بين أضلاع قضية فلسطين وأركانها، يشير إلى أنها بدأت تعود بقوة إلى الحضور الثقافي والسياسي والإعلامي ، بالتزامن مع تصاعد العدوان على غزة والصمود، مع دخول أجيال صغيرة (أطفال وشباب) ساحة الدفاع عن المسجد الأقصى وفلسطين، ومع زيادة حضور المرابطين من النساء وفلسطينيي ٤٨، وهو ما أجج الجهود الإسرائيلية لتجريم هذا الرباط في الأقصى على الصعيدين القانوني والسياسي ع لى نحو ما يجري حاليا في مناقشات الكنيست.

هذا الرابط الجديد في مستوى كثافته، يكاد يجسد اليوم علاقة تكاملية بين ثلاثة عناصر: انتفاضة القدس، والرباط في المسجد الأقصى، والاستهداف المتكرر لغزة . ورغم بلوغ المعاناة من الاحتلال حدا غير مسبوق، فإن في المعركة الجار ية دلالات شديدة الأهمية ومنها : استمرارية معركة التحرير في نطاق فلسطين والأمة، وبداية نهوض مقاومة أصيلة لمحاولات أطراف دولية– إقليمية لإعادة تشكيل النظام الإقليمي في المنطقة العربية، انطلاقا من عدة بؤر مهمة، إحداها فلسطين بالضرورة، وعودة الحضور الشعبي في ال نضال اليومي حتى بدون أية تغطية رسمية أو فصائلية، سواء على الصعيد الفلسطيني أو العربي أو الإسلامي، ما خلا إشارات خجولة إلى أن الوضع قد يندفع إلى حرب دينية لا يريدها أحد سوى غلاة الإسرائيليين، الذين يصرون على أن يعترف العالم، وفي مقدمته الفلسطينيون، بيهودية الدولة الإسرائيلية، التي تتأهب لإصدار تشريع لتقنين ذلك في ما يسمى تشريع يهودية الدولة.

أهمية ما يحدث في المسجد الأقصى والقدس وغزة وفلسطين عموما، تتزايد بسبب المناخ العربي والإقليمي والدولي؛ إذ تسعى أطراف دولية وإقليمية إلى تدشين نظام إقليمي جديد يقوم على عدة أسس بعضها سياسي وبعضها الآخر حضاري وثقافي، ومنها على سبيل المثال : تصفية قضية فلسطين، وبالذات على المستوى الرمزي الاستراتيجي المتمثل في قضايا القدس واللاجئين وتهويد الأرض وزرعها بالاستيطان، ومنها ثانيا: تحجيم دور الحركات الإسلامية في المنطقة العربية، وإخراجها إن أمكن من المشهد السياسي العربي، سواء كانت سياسية معتدلة، أو راديكالية جهادية، وهو ما يحظى بدعم غربي واضح، كون هذه الحركات هي القوة الشعبية الأكثر حضورا وقدرة على تدشين مشروع مقاومة حضارية ممتدة وفعالة . ومنها ثالثا القضاء على أي احتمال لتفاهم استراتيجي، أو حتى تكتيكي، بين الدول الأركان في الأمة (تركيا، السعودية، مصر، بلاد الشام وخصوصا منطقة دمشق – الساحل السوري).

وبسبب موقع فلسطين والقدس من أمتها ومنطقتها، لم يكن غريبا أن تبدأ إرهاصات الانتفاضة الجديدة من مدينة القدس العريقة؛ فهي أهم مركز للحركة السياسية والثقافية الفلسطينية قاطبة، وهي إحدى أهم المراكز الحضارية أيضا على المستويات العربية والإسلامية بل والعالمية [1].

إن حضور القدس على المستويات التاريخية والحضارية والثقافية والسياسية يكاد لا يقارن بأي مدينة فلسطينية أخرى، وهو ما يدركه المستعمر الصهيوني جيدا إذ يوجه

---

[1] – راجع: المستشار طارق البشري، "عن القدس وفلسطين: وعاؤها الجغرافي"، **أمتي في العالم**، القاهرة: مركز الحضارة للدراسات السياسية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٤١-٤٦. وهي متاحة في موقع المركز على الرابط:

http://hadaracenter.com/index.php?option=com_content&view=article&id=1007:2014-10-28-15-06-40&catid=201:2013-02-13-15-25-35&Itemid=527

إلى القدس وأهلها المرابطين، قسطا أكبر وأكثف من ممارساته التهويدية الاستيطانية دون أن يعني ذلك أي تهاون في تنفيذ الاستراتيجية الصهيونية تجاه غزة والضفة الغربية وباقي فلسطين.

وكما كان الأمر دائما، تولد الانتهاكات الإسرائيلية والتحرك الكثيف لتهو يد القدس والأقصى وتهجير المقدسيين وضرب المؤسسات المقدسية والفلسطينية، وبالذات تلك المدافعة عن الأقصى، – وهي خطوات متتابعة ضمن استراتيجية صهيونية كبرى تجمع السياسي والثقافي والاستراتيجي والاقتصادي والإعلامي .. إلخ [٢] – تولد تحريك الفعل الانتفاضي الفلسطيني الذي بدأت بوادره هذه المرة بعد حرق الطفل الفلسطيني محمد حسين أبو خضير، من مخيم شعفاط المقدسي، وذلك قبيل الحرب الصهيونية الثالثة على غزة صيف ٢٠١٤ .

ثم انتقلت شعلة المقاومة إلى غزة على مدار خمسين يوما من الحرب الضروس ضد المدنيين العزل، والتي كشفت توافقا إسرائيليا /أمريكيا مع بعض النظم العربية؛ توافق يقوم على حصار مشروع المقاومة في غزة وتصفيتها، عبر تكثيف العدوان الإسرائيلي وتشديد الحصار عليها، وتسريع إنشاء المنطقة العازلة بين مصر وقطاع غزة، تحت دعاوى مختلفة.

الأدهى والأمر، أن تعطيل إعادة إعمار غزة وتسويف المصالحة الفلسطينية بذريعة تفجيرات غزة، أصبح جهدا تشارك فيه أغلب النظم العربية . وبدا كما أشار البعض

---

[٢] – ثمة مصادر كثيرة حول صراع سياسة إسرائيل تجاه المؤسسات في القدس والأوقاف الفلسطينية بصفة عامة، راجع منها على سبيل المثال : مايكل دمبر، **سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين ١٩٤٨–١٩٨٨**، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢. وأيضا: محمد خالد الأزعر، "صراع المؤسسات في القدس"، **مجلة البحوث والدراسات العربية**، العددان ٣١ و٣٢، يوليو ١٩٩٩ وديسمبر ١٩٩٩.

أن ثمة مقايضة بين سماح إسرائيل والولايات المتحدة ببدء مناقشة إعمار غزة في المؤتمر الذي انعقد في القاهرة في ١٢ أكتوبر، وبين ذهاب إسرائيل ومستوطنيها إلى الحد الأقصى في العدوان على المسجد الأقصى واقتحاماته المتكررة [٣].

إن أهمية انتفاضة القدس في هذه اللحظة المفصلية تحديدا، إنما تتعلق بثلاثة أمور أمرين: أولها أنها تشكل ردا على ما يحدث في القدس والأقصى وغزة، وال ثاني أنها انتفاضة تستدعي الطاقات وتكشف عقم مسار التسوية ومحاولات استئناف المفاوضات؛ إذ لا تستطيع هذه المفاوضات أن تقدم شيئا لقضية القدس والمقدسيين، وكذلك أمر المسعى الفلسطيني لاستصدار قرار من مجلس الأمن بإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، أو حتى ما سمي المبادرة الفرنسية بإعطاء فرصة لمفاوضات لمدة عامين قبل تقرير مسألة اعتراف أوروبي بالدولة الفلسطينية المرتقبة . أما الثالث فهي أنها تكشف أن هرولة الصهاينة لاستكمال تهويد القدس هو الوجه الآخر لهرولة النظم العربية البائدة للتمسك بكراسيها، أو العودة في موجة جديدة من الاستبداد، في محاولة يائسة من الاستبداد للاستمرار بإزهاق الحريات وتصفية المقاومات في إطار رعاية خارجية لاستمرار الهيمنة وتفعيل التجزئة. ولكن من قلب هذا كله، نبعت مقاومة غزة وانتفضت القدس ومرابطوا الأقصى وتستمر المقاومات ضد الاستبداد.

---

[٣] – وائل قنديل، "تهويد الأقصى ثمنا لإعمار غزة؟"، **العربي الجديد** ٢٠١٤/١٠/١٨. على الرابط:

http://www.alaraby.co.uk/opinion/32b98264-bd2d-40e9-9846-5245622354c0

وللاطلاع على تحليل لسياق إعادة إعمار غزة راجع:

خالد وليد محمود، "إعادة إعمار قطاع غزة: السياقات والتحديات"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤/١١/١٢. على الرابط:

http://www.dohainstitute.org/release/fa8bca93-dbe0-4ae6-b921-a985093110d7